دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

عمل الروح القدس
في
العذراء وفينا

الأب متى المسكين

كتاب : عمل الروح القدس في العذراء وفينا.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ضمن كتاب:
"الروح القدس الرب المحيي"
الطبعات اللاحقة: ٢٠٠٢-٢٠١٢.
الطبعة الخامسة: ٢٠١٦.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون
ص.ب ٢٧٨٠ - القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٢/١٣٢٦٤
الترقيم الدولي: ISBN 977-240-144-4
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

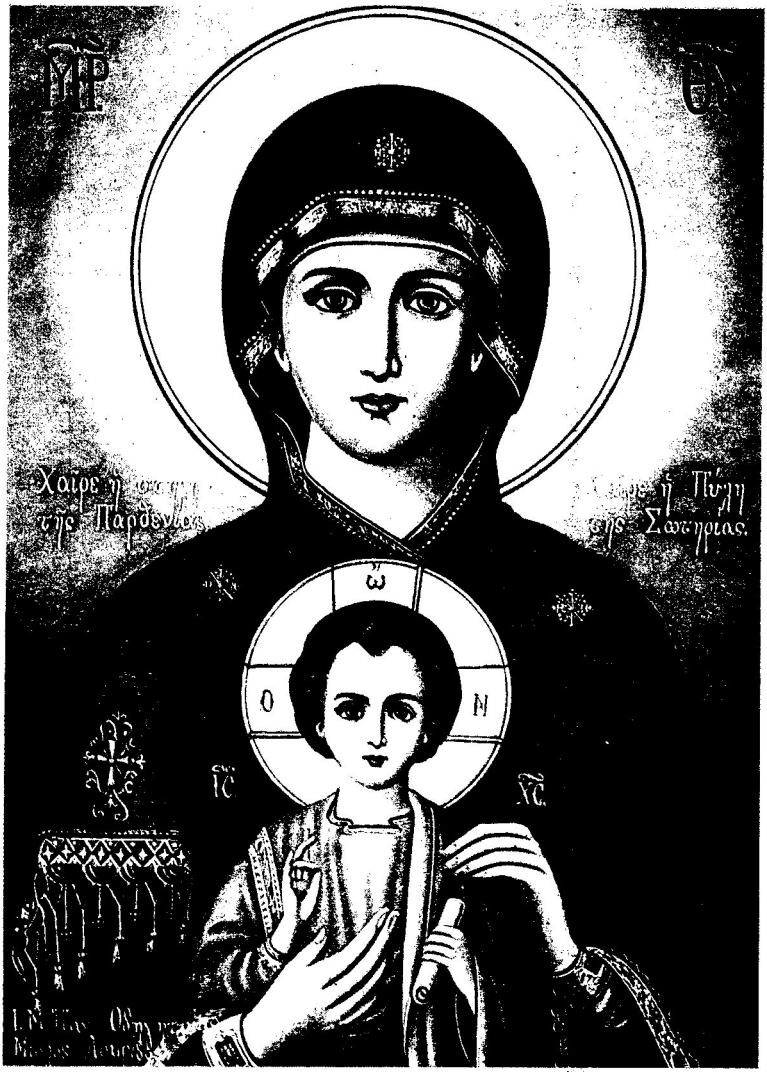
ΜΡ
Θ
Χαιρε η
της Παρθενου
η Πυλη
της Σωτηριας.
Ω
Ο
Ν
ΙC
ΧC

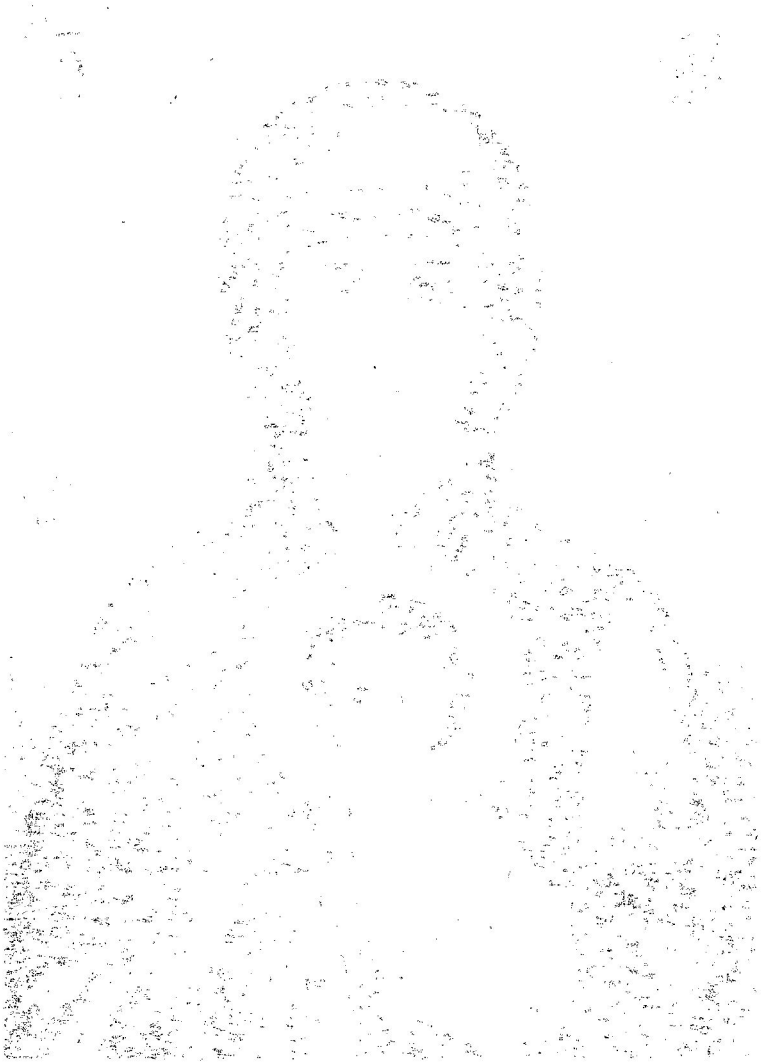

عمل الروح القدس
في العذراء وفينا[1]

منذ يوم الخمسين ـ أي منذ أن عيَّدنا للروح القدس ـ وقلوبنا مرفوعة بالروح، لنرى ونحس بكل أعمال الكنيسة وأعيادها، في نور الروح القدس.

نحن نصوم هذا الصوم، الذي ينتهي بعيد صعود جسد القديسة العذراء مريم، أو بالتحديد عيد ظهور جسدها. ولكن ما هذا الجسد الذي نُعيِّد لظهوره أو لصعوده؟

تعيب علينا الطوائف الأخرى أننا نُعيِّد للأجساد ونكرِّم الأجساد، ولكن انظروا وتأملوا معي يوم البشارة المقدسة التي أُرسِل فيها الملاك جبرائيل بالبشارة، وقال للعذراء: "سلامٌ لكِ أيتها **الممتلئة نعمة**". لقد رأى الملاك برؤيا واضحة ملء النعمة في العذراء، جسداً ونفساً وروحاً. أما هي فحينما استفسرت منه كيف يكون حملها بالكلمة، قال لها: «الروح القدس يحلُّ عليكِ، وقوة العليِّ تُظلِّلُكِ.» (لو ١:٣٥)

"الروح القدس" نفسه يحلُّ عليكِ، أما مفاعيله فهي «قوة العليِّ تُظلِّلُكِ». كلمة "تُظلِّلكِ" في أصلها العبري واليوناني تعني: "يعمل

---

(١) نص كلمة أُلقيت في أغسطس سنة ١٩٧٣م.

خيمة أو مسكناً". فالخيمة هي المسكن الذي كان يحلُّ فيه الله في العهد القديم، وفيه تابوت العهد موضوعاً في قدس الأقداس. فالحلول في أصل الكلمة هو "السُّكنى"، والكلمة مشتقة من النطق العبري "اشكيناه". إذن، فـ "قوة العلي تُظلِّلكِ" تعني أن قوة العلي تسكن فيكِ، أي تحوط بالعذراء من داخل ومن خارج وتحفظها. والحلول هنا، ليس بالمفهوم المكاني، بل هو حلول كلِّي: «لذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله.» (لو ١:٣٥)

هذه هي أول مرة تسمع فيها البشرية هذا الصوت، أن الروح القدس يحل على الإنسان ويكون ذلك بداية لسُكنى دائمة.

كنا نعرف الروح القدس في العهد القديم أنه يحل على الأنبياء ليتكلَّم فيهم، وبعد أن يتكلَّم لا يكون فيهم بعد. أما في العذراء القديسة فقد وجدنا أن حلول الروح القدس يدوم، لأنه متلازم مع الحَبَل الإلهي، متحداً بالكلمة الذي كان ينمو في الحشا البتولي، لأنه كما يقول الآباء: "حيث يوجد المسيح يوجد الروح القدس". لذلك فبمجرد أن حلَّ الكلمة ابن الله في أحشاء العذراء، حلَّ الروح القدس في الحال، بدون أي فارق زماني أو مكاني على الإطلاق.

العذراء مريم كانت وما زالت مثالاً للبشرية كلها، كل إنسان مدعوٌّ أن ينفتح قلبه وذهنه لحلول الكلمة في القلب: «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣:١٧)، فإذا ما حلَّ المسيح، يحلُّ وينسكب معه الروح القدس أيضاً.

العذراء كانت، ولا تزال، نموذجاً لكل إنسان يتقبَّل **الكلمة**، والإنسان يتقبَّل الإيمان بالخبر، والخبر بالكلمة. فإذا ما استقرت الكلمة في القلب، أي كلمة الإيمان بالمسيح، وباسم المسيح، بفرح وقبول حسن، ففي الحال يلازم الإيمانَ عملُ وفعلُ الروح القدس وقوةٌ تحيط بالإنسان وتحل فيه، حتى تنمو فيه "الكلمة" ويتصوَّر المسيح كاملاً.

ولكن ليس الأمر أن كل هذا يتم سريعاً وفي الحال. إنما الروح القدس، في تدرُّج عمله في الإنسان، يمرُّ على مرحلتين. فإذا قرأنا من إنجيل يوحنا الأصحاح السابع نجد هاتين المرحلتين:

+ «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: **إن عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب.** مَن **آمن بي** ـ كما قال الكتاب ـ **تجري من بطنه أنهار** ماء حي. قال هذا **عن الروح الذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد.**» (يو ٧: ٣٧ـ٣٩)

ما هو مجد المسيح؟ وما معنى: «لم يكن قد مُجِّد بعد»؟ إن معناها البسيط هو أنه لم يكن قد صُلِب بعد. فالصليب كان هو المدخل لمجد المسيح.

هذا الارتباط الكبير موجود في حياتنا، أي الارتباط بين أن يتمجَّد المسيح فينا وبين أن يُعطَى الروح القدس لنا. فكيف يتمجَّد المسيح في حياتك؟ هل صُلِب المسيح في حياتك؟ هل هو قائم الآن مصلوباً فيك وأنت فيه؟ حتى يعمل الروح القدس فيك بقوة؟

ولكن ما معنى أن يُصلب المسيح في حياتي؟ واضح أن كل مَن يشهد للمسيح، يشترك مع المسيح في صليبه، والكل مدعو للشهادة، وبالتالي للتألُّم مع المسيح! وبهذا يؤهَّل الجميع للروح القدس.

البعض يضعون الآلام على أنفسهم، كأن يجاهدوا جهادات جسدية بأصوام وأسهار وتقشُّفات كثيرة. هذا حسنٌ جداً. ولكن ما هو أحسن منه أن نقبل ما يُصادفنا من آلام اضطرارية دون أن نئن منها أو نرفضها.

وصليب المسيح ينبغي أن يكون هذا وذاك. فالمسيح قَبِلَ الصليب، ولكنه لم يَصلب نفسه، مع أنه كان دائماً مستعداً للصليب. هذا تماماً هو موقفنا من صليب المسيح وآلامه، أن نكون مستعدين للآلام، فإذا أتت لا نرفضها.

الصوم الذي نصومه في صوم العذراء أو بقية الأصوام، هو مدخل أو وسيلة لِيُنبِّه القلب والذهن والجسد أيضاً، أن نكون على استعداد لاحتمال الآلام حينما تأتي على الإنسان رغماً عن إرادته. **فإذا كان الصوم هو الألم الإرادي، فالاضطهاد هو الألم غير الإرادي، والصليب هو الاثنان معاً.**

لا يمكن أن يتصالح الروح القدس مع إنسان يرفض الصليب، أي يرفض الآلام الاضطرارية، أو يستعلي على الجهادات الجسدية. فالمسيحي مدعو أن يجاهد كجندي صالح ليسوع المسيح، يتألم بإرادته، ولا يرفض الصليب عندما تأتي ساعته.

ولكن الصليب لا يصح أن نراه فقط في رفع الجسد على الخشبة وتسمير اليدين. فالصليب في حياة المسيح بدأ منذ ولادته، في أقسى شهور الشتاء (آخر كيهك وطوبة)، وفي العراء تقريباً، وفي بداية حياته اضطُهِد ونزل إلى أرض مصر. إذا تتبعنا حياة المسيح نجد أن فعل الصليب بدأ منذ أن بُشِّر به وهو في البطن. حتى العذراء تألمت بسببه: «وأنتِ أيضاً يجوز في نفسك سيف» (لو ٢:٣٥)، وألم العذراء كان ينعكس بالطبيعة عليه وهو في البطن!! واستمرت الآلام على المسيح حتى يوم الصليب، إلى أن كمل على يدي قيافا وبيلاطس، فصليب المسيح كان حياته!!

حياة المسيحي تبتدئ فعلاً يوم أن تحلَّ الكلمة في قلبه وفي ذهنه، وحينئذ أيضاً يبتدئ الصليب في الحال. لا يمكن أن تنفصل "**الكلمة**" عن "**الصليب**". حقًّا إن المسيح بدأ معنا كلنا منذ معموديتنا، وكلنا نتألم بسبب مسيحيتنا، حتى ولو لم نكن قد بدأنا سيرة إيماننا الحقيقي مع المسيح، أي رحلة إيماننا عَبْرَ العالم بالشهادة والاعتراف. لكن المسيح لابد أن يتمجَّد في حياتنا، وهو على صليبه في قلوبنا، ونحن معه مصلوبون.

«مع المسيح صُلِبتُ» (غل ٢:٢٠)، لم يَقُلها بولس الرسول عفواً، فهو قد صُلِب حقًّا، منذ أن ظهر المسيح في السماء لشاول وهو في الطريق، وحلَّ بالإيمان في قلبه. وصليب بولس بدأ بشدة وعنف، بقدر شدة إيمانه وعنف حبه!!

منذ أن عرفتُ المسيح، وفخري هو صليب المسيح. هذا هو مجد

المسيح في حياتنا، أن يُرى صليب المسيح بوضوح في سلوكي، كإنسان لا يعتفي من الألم، ولا يعتفي مما وراء الشهادة من ألم، والاضطهاد يسبق دائماً طريق المبشر!!

إذن، فكل مسيحي قَبِلَ المسيح في أحشائه: «ليكن لي كقولك»، يرتسم الصليب في الحال أمام عينيه، في ذهنه، وفي قلبه، وفي طريقه: «أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسِم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» (غل ٣:١). **وهكذا لابد أن يتمجَّد المسيح في حياتنا حتى يُعطَى لنا الروح القدس: «لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد!!»** (يو ٧:٣٩)

نحن نتكلَّم عن روح حي موجود فينا ومعنا، تقبَّلته العذراء كنائبة عن البشرية يوماً من الأيام. ومنذ ذلك اليوم، وعلى الأخص منذ يوم الخمسين، لم يَنْفَكّ يعمل في قلوبنا بشدة، منذ أن تمجَّد المسيح بالصليب، واستطاع أن يُقدِّم الجسد ذبيحة عن كل إنسان وعن كل خطيئة. ارتفع بهذا الجسد ــ أي جسد الإنسان الضعيف ــ وصعد إلى السماء وأجلسه في السماويات عن يمين العظمة في الأعالي. فلما استقر الإنسان في المسيح عن يمين الله، انسكب الروح القدس بغِنَى على البشرية يوم الخمسين. وأول مَن انسكب عليه، كانت العذراء، لأنها كانت معهم في العلِّيَّة، تصوم وتصلي بانتظار موعد الآب!!

فالروح القدس الذي حلَّ على العذراء **"ملازماً للكلمة"** يوم البشارة، أكمل فعله فيها من أجل خلاصها يوم الخمسين!! وكما سكن العذراء، سكن الكنيسة كلها!!

نحن نعرف أنه منذ العهد القديم وحتى يوم الخمسين، كان ممكناً أن الروح القدس "يحل على" أو "يكون مع"، ولكن أن "يسكن في" فلم يكن ممكناً إلاّ منذ يوم الخمسين.

يا لمجد البشرية حينما جلست في المسيح عن يمين العظمة في الأعالي، لذلك لم يكن كثيراً عليها أن يحل الروح القدس ويسكن فيها!

هنا ترابط عجيب بين عمل المسيح فينا وعمل الروح القدس! فلا يمكن لواحد أن يستغني عن الآخر: «خيرٌ لكم أن أنطلق (المسيح يتكلّم هنا)، لأنه **إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي**.» (يو ١٦:٧)

المسيح كان مع التلاميذ يرونه رؤيا العين، ويسمعونه سمع الأُذن، ويلمسونه لمس اليد، يسيرون معه أينما سار، يعزيهم بكل عزاء، يدافع عنهم كمحام، كباراكليت، ضد الكتبة والفرِّيسيين وكل المعاندين والأعداء. استطاع أن يمدَّهم بقوة وبسلطان ضد الشيطان، بل واستطاعوا أن يشفوا المرضى، ويُخرجوا كل روح ضعف وسقم في الشعب. ولكن بالرغم من كل ذلك قال لهم: «**خيرٌ لكم أن أنطلق** (أي أتركككم)، لأني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي». هنا تبدو رسالة الروح القدس في غاية الأهمية!!

قد ينسى الإنسان ما رآه وما سمعه، كما نسي بطرس كل شيء، كل تعاليمه وكل معجزاته وإقامته للموتى، حتى تجرَّأ وأنكره، ثم لعن بقَسَم «لستُ أعرفه»!! من هذه الحادثة بالذات تظهر أهمية عمل

الروح القدس القصوى، فهو «يُذكِّركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤:٢٦). بدون الروح القدس يمكن أن ينسى التلاميذ وأقرب المقرَّبين كل ما قاله المسيح، وكل الأعمال التي صنع، ولا تسعفه آية أو برهان ليؤمن أو يعترف بابن الله!!

ما أعظم الالتصاق بالروح القدس وما أخطر البعد عنه؟!

إن الالتصاق بالروح القدس هو سر جميع الأسرار، شبهه بولس الرسول لنا وهو يتكلَّم عن الالتصاق بالمرأة: «**مَن التصق بالرب فهو روح واحد**» (١كو ٦:١٧)، وحينما تكلَّم عن الزواج والمرأة والرجل انتقل في الحال ليتكلَّم عن الحقيقة الأولى، أي **المسيح والكنيسة**.

زواج المرأة والرجل هو صورة لحقيقة أولى. والحقيقة الأولى هي علاقة المسيح بالنفس البشرية، لأنه بالروح القدس تتحد النفس البشرية بالمسيح ليصيرا معاً روحاً واحداً.

الالتصاق بالروح القدس نفهمه جيداً من يوم البشارة، من العذراء مريم: «الروح القدس يحلُّ عليكِ». ليت يوم العذراء يكون هو يومنا، فنشعر نحن أيضاً بالذي تمَّ فينا يوم اعتمادنا، هذا الحلول الذي أنتج فينا عِشرة حياة متحدة أثمرت فينا تصوُّر المسيح في القلب أو في الأحشاء: «أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل ٤:١٩)

الإنسان مدعوٌّ ليكون هيكلاً حياً للمسيح، والروح يسكن فيه سكنى أبدية، وعِشرة تُثمر حياة على صورة المسيح، ويُعاد فيها تصوير

الكيان الداخلي كله بكل الأعضاء حتى يصير على صورة خالقه في البر وقداسة الحق.

"مَن التصق بالرب يصير معه روحاً واحداً"، حينئذ «نتغيَّر... من مجد إلى مجد كما من الرب **الروح**» (٢كو ٣:١٨)، «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها»، أي إلى صورة المسيح في الوداعة، في الاتضاع، في المحبة، في الغيرة، في الحق، في الشجاعة، في الإيمان، في النطق بالحق بلا تحفُّظ، في احتمال الآلام، في قبول الصليب، في الفرح في الضيق والاضطهادات والظلم، وفي كل ما للمسيح: «يأخذ مما لي ويُخبركم»، وهكذا يتصوَّر المسيح فينا.

عمل الروح القدس ينقل ما للمسيح ويطبعه في حياتنا لنكون على صورة المسيح، حتى يرانا الآب فيرى المسيح، فتتحنَّن أحشاؤه علينا، كما تحنَّنت أحشاؤه على ابنه المذبوح على الصليب.

طوبى للإنسان الذي يئن أنَّات المسيح التي أنَّ بها على الصليب، لأن بها تنفتح مغاليق السماء، ويسكب الآب مراحمه، ويختم على آلام الإنسان بالمجد!

إن عمل الروح القدس في الإنسان كبير. ينقل كل ما قاله المسيح وكل ما عمل ليصير جزءاً من حياتنا، بل بالحري يصير حياتنا. إنه يلحُّ أولاً علينا حتى يقنعنا به. فعندما نقبل أن نكون على شِبه المسيح، يحلُّ المسيح نفسه، ويحيا فينا بالروح القدس، وبذلك ينقلنا من حالة

العبودية إلى حالة البنويَّة الروحية.

البنويَّة لله لا تأتي عفواً، لابد أن ينقل الروح القدس فينا أولاً صورة المسيح الابن، حتى حينما يرانا الآب يرى ابنه. نئن، فيتذكَّر الآب أحزان الابن المحبوب: «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت ٢٦:٣٨)، وإذ نصنع مشيئة الآب، تنفتح علينا أحشاء مراحم الله!

إذن، عمل الروح القدس هو أن ينقل لنا ما عمله المسيح لنحياه بالحق. وحينما تكتمل آلام المسيح وصورة طاعته بالحق فينا، حينئذ يكتمل فينا وعد الله: «إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو ٨:١٧)

«إن عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب»
(يو ٧:٣٧)

هل أنت عطشان؟ هل الحياة مجدبة؟ أليس ما يُعزيك ويعينك؟ هل الألم يضغط عليك بآلامه وأوجاعه ومرارته؟ إن كنتَ عطشاناً حقًّا، فالرب يدعوك للارتواء من ينبوع حبه. وأن ترتوي بالروح، فهذا هو العمل الأصغر!! أما العمل الأعظم فهو «ومَن آمن بي... **تجري من بطنه أنهار ماء حي**» (يو ٧:٣٨). مَن يعطش للروح يرتوي، ولكن مَن يرتوي، تخرج من بطنه أنهار ماء حي. كل مَن يرتوي يفيض، حتماً يفيض!

يا للروح القدس! ويا لعمله المتكامل مع المسيح! المسيح يسقي

حتى الارتواء، والروح القدس يُفجِّر أنهار ماء حي من بطن الإنسان.

حالما يدخل الإنسان في سرِّ صليب المسيح، يدخل في الحال في عمق أسرار الروح القدس وعمله، فيفيض أنهار تعزيات!!

ولكن «لأن الروح القدس **لم يكن قد أُعطِيَ بعد**، لأن يسوع **لم يكن قد مُجِّد بعد**» (يو ٧:٣٩)، فستظل هكذا حياتك في حاجة إلى مجد الصليب، لأن الروح لا يُعطَى عفواً. حينما تبدأ في المجاهرة بصليب المسيح، حينئذ تحلُّ عليك قوة العليّ، لأن صليب المسيح هو مصدر القوة والحياة.

الروح القدس يقف رهن إشارة شهوة القلب، لشركة الآلام والأنين مع المسيح، لخلاص الآخرين، لأننا بها نقف أمام الآب بدالة: «إن **عُيِّرتم** باسم المسيح، فطوبى لكم، لأن **روح المجد والله يحلُّ عليكم**.» (١بط ٤:١٤)

الروح القدس يتحسس مقدار استعدادنا، ثم مقدار قبولنا، ثم مقدار فرحنا بالصليب وبالآلام، وحينئذ ينسكب بفيض وغِنَى.

ثم يستحيل أن يرتوي إنسان بحب المسيح، ولا تنفجر أحشاؤه بمواهب الروح القدس، لخدمة المسيح!! فالله لا يُعطي بالشح. أليس هو الذي قال على لسان بولس الرسول: «مَن يزرع بالشُّح فبالشُّح أيضاً يحصد» (٢كو ٩:٦). فكم بالحري وهو قد زرع بغِنَى في يوم الخمسين وبفيض مذهل، ألاَ يكمل زراعته على مدى الأيام والسنين بفيض مواهبه وبركاته؟

أَلاَ تعلمون أن الرب غني، وهذه إحدى صفات المسيح الهامة جداً التي يجب أن نتعرف عليها، فإذا أُعطى الروح القدس فهو يُعطي بلا كيلٍ (يو ٣:٣٤). يقول الرب: «فمَن منكم، وهو أبٌ، يسأله ابنه خبزاً، أفيُعطيه حجراً؟ أو سمكةً، أفيُعطيه حيَّة بدل السمكة؟ أو إذا سأله بيضة، أفيُعطيه عقرباً؟ فإن كنتم وأنتم أشرارٌ تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري **الآب الذي من السماء، يُعطي الروح القدس للذين يسألونه؟**» (لو ١١:١١ـ١٣)

المقارنة هنا تهدف نحو دعوة صارخة للصلاة في طلب الروح القدس، ولكن ليس مطلوباً من الابن في هذا المثل أن يطلب بلجاجة أو بإلحاح، ذلك لأنه ابن. إنما اللجاجة تُطلب ـ في مَثَل الكنعانية ـ من العبيد: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب» (مت ١٥:٢٦). أما الابن فيطلب بدالة!!

المسيح يريد أن يُصوِّر لنا أن مجرد طلب الروح القدس بدالة الابن لدى الآب لابد أن يُستجاب، لأن أولاد الله لا يمكن أن يعيشوا بدون الروح القدس، كما لا يمكن للبنين أن يعيشوا بدون طعام!!

العذراء قالت (للملاك): «ليكن لي كقولك»، فتمَّ كل شيء! هذا تنبيه لإيماننا أن نكون على مستوى الدعوة للأخذ المباشر. فالله مستعد أن يعطي، ولكنه يريد قلباً يقول: آمين ـ ليكن لي كوعدك ـ فالكتاب يقول: «أسكب من روحي على كل بشر» (أع ٢:١٧، يوئيل ٢:٢٨). لذلك أصبح لزاماً علينا من جهة الإيمان أن نثق أنَّ لنا طلباتنا التي نطلبها من الله، فنحن نأخذ الروح القدس لأننا نطلبه من

الله لنحيا ونشهد به للمسيح.

ولكن الله لا يستأمن إنساناً لم يعزم، عزم القلب، على أن لا يهين الروح القدس بكبرياء أو عداوة أو نجاسة، فقد نأخذ الروح في المعمودية ثم نفضحه في الشوارع! لا يليق، يا إخوتي، أن نأخذ الروح القدس ولا نعيش بوداعة المسيح وصبره. أليست العذراء مريم هنا مثالاً حياً لِمَن ينال الروح القدس في القداسة وطهارة السيرة!

ولكن عمل الروح لابد أن ينخس قلبي، أولاً، ويقنعني بخطيتي، حتى أرى الدم ضرورياً لخلاصي.

عمل الفداء أكمله المسيح بدمه، بصفة عامة ومجاناً، لكل البشرية. ولكن ليس لأحد حق في هذا الدم إلاَّ الذي قَبِلَ الختم أولاً، ثم انفتح قلبه للروح القدس، وقَبِلَ سكناه بعهدٍ أبدي، وخضع لكل مطالب الروح في القلب والفكر.

الروح القدس ينقل لنا عمل الفداء وعمل التبرير مجاناً، لأن بيننا وبين الفداء هوَّة، لا يستطيع أحد أن يَعْبُرها، وحتى إن أدركها عقلنا فلا يستطيع أحد أن يجعلها تسري في حياتنا. قد تسمعون وتدرسون كثيراً عن لاهوت الفداء ولاهوت التبرير، ولكن مع هذا لا تستطيعون أن تأخذوا عمل الفداء وعمل التبرير في حياتكم، إلاَّ بفعل الروح القدس!

فالروح القدس ينقل لنا الفداء كفعل حي، والتبرير كقوة مُحرِّكة، والصليب كمجد وتهليل، والموت في القبر كحياة، والقيامة كملكوت، ينقل كل هذا بإقناع ويُسلِّمه لنا بسلطان.

نحن مدعوون أن نأخذ سرَّ المسيح، حينما يحوِّل الروح القدس كل ما عمله المسيح في نفسه، بمسرة الآب، ليجعله عملاً في نفوسنا للبهجة.

يا ليت كل أسرار الصليب ينقلها إلينا الروح القدس، مع وداعة المسيح المصلوب، الذي وهو في عمق الألم ينادي الآب: «يا أبتاه اغفر لهم» (لو ٢٣:٣٤)، حتى يصير صليبي بركة لكل نفس، وليس لعنة، حتى للصالبين!

هكذا تماماً ينبغي أن تصير آلامنا، حينما يُخيِّم عليها سر الصليب، مشفوعة بنفس الصلاة! نعم، اجعل يا رب آلامنا ودُلَّنا واضطهادنا، بركة وخلاصاً لكل مَن ظَلَمَنا، ولكل مَن اضطهدَنا، ولكل مَن أساء إلينا، أو كان سبباً في آلامنا، حتى تصير حياتنا بركة لجميع الناس، لا يشوبها لعنة لإنسان قط!

هذه هي صورة المسيح، يطبعها الروح القدس على قلوبنا، بعمله الوديع الهادئ، وبسرٍّ لا يُنطق به، فتصير النفس مع عريسها السمائي روحاً واحداً!!

نعم، يستطيع الروح أن يقنعنا بذلك، حينما نكون كالجواد الجامح الذي لم يمسه السوط بعد، عندما يسوق علينا الضيقات والآلام المتنوعة، ليُخضعنا لصورة المسيح بقيادته المُبدعة، فيتمرَّس الإنسان بفنون الصليب، ويستنشق ريح الاضطهاد من بعيد، فيستعد لها بالصلاة والحب وإحناء الظهر؛ ليس بكبرياء الهارب من مجد الصليب

يقف أمام مضطهديه، ولا بالمنطق والتهديد والعنف يقارع صالبيه، فيدوس الجلجثة بكبريائه ويجحد الصليب بكرامته، فتفلت منه قوته. لأن قوة الصليب لا يمكن أن تبلغ مداها في القلب، إلاَّ عندما يهتف الإنسان عن صدق ويقين: «في يديك أستودع روحي» (لو ٢٣:٤٦) حتى إلى الموت!!!

لابد لِمَن أراد أن يشهد للمسيح بالروح، أن يضع في نفسه، كل لحظة، حكم الموت!

لأنه مَن استطاع أن يغلب هذا العالم، إلاَّ الذي مات عن هذا العالم، واستعدَّ أن يموت كل يوم لأي سبب، وبأي يد، وفي أي وقت؟ مثل هذا تكون شهادته نارية، وحياته نارية، وصلاته نارية؛ بل وموته أيضاً يكون نارياً، كإيليا. مثل هذا تكون كلماته قادرة أن تُغيِّر، وتجدِّد النفوس الشاردة والماردة، لأنها بالروح القدس تكون منطوقة، ولمجد الله وحده.

وفي كلمة أخيرة، أُنبِّه ذهنكم لِماَ يقوله المسيح: «تجري من **بطنه** أنهار ماء حي» (يو ٧:٣٨). لم يَقُل: "من فمه"، لأن «من فضلة القلب يتكلَّم الفم» (مت ١٢:٣٤). إن الرب بهذا القول يريد أن يتجاوز الظن بأنَّ عمل الروح القدس يقتصر على كلمة الكرازة فقط.

الرب بقوله إن من البطن تخرج أنهار ماء حي، إنما يشير إلى الكنيسة المخصبة بالروح، يشير إلى المواهب المتعدِّدة الأنواع، التي لا يمكن حصرها أو تقييدها. فثق، أيها السامع والقارئ، أنه بقدر ما

استؤمنتَ على عطية الروح القدس، بقدر ما يتألم المسيح في حياتك، بل يتمجد، إن قبلتَ أنت أن تكون شريكاً في هذا وفي ذاك. وعندما تخرج من بطنك أنهار ماء حي، لن تعود تستطيع أن تضبطها أنت أو توجِّهها، لأن الروح القدس يختار مسارها ويُحدِّد أهدافها؛ أما أنت فيكفيك أن تهتف دائماً: «ثابت (مستعد) قلبي يا الله، ثابت (مستعد) قلبي.» (مز ٥٧:٧)

إن عمل الروح القدس يتم قليلاً قليلاً، وهذا يكون في التغيير وبدء التوبة؛ أما إذا تم التغيير وصَلُحَ الإناء، فعمل الروح يندفق كنهر، كوعد الآب، وأنهار الله تجري من عرش الله ملآنة بأسرار الحياة.

ولكن الشاربين قليلون، لأن الكثيرين اختاروا تعزيات هذا الدهر، واشتهوا بالأكثر أن يرتووا من كرامات الدنيا، وقد بنوا قصورهم وآمالهم على شواطئ نهر الذهب.

✠ ✠ ✠

صلاة

يا روح الله، يا مَن حللت على العذراء يوماً مع قوة العلي، فكانت بُشرى الخلاص لكل بني الإنسان،

ويا مَن نزلت مستقراً على المسيح في الأردن، فكان سر ميلاد البشرية كلها مجدداً من السماء،

ويا مَن أقمت يسوع من بين الأموات، بأمر الآب، ليُعلن جهاراً سرَّ الحياة الأبدية التي فيه، لبدء دخول أزمنة ملكوت الله،

ويا مَن نزلت، باستقرار على التلاميذ يوم الخمسين كنار، فاضطرمت مواهب الروح للشهادة للمسيح في كل الأرض، ولن تنحصر حتى مجيئه؛

حِلَّ في كنيستك مع قوة من الأعالي، واستقر فيها وأقمها،

واضرم مواهبك فيها للشهادة، حتى تصير الأزمنة الأخيرة كأمجاد الأزمنة الأولى،

ليهتم كل إنسان بخلاصه، ويكون الجميع باستعداد لمجيء الآتي.

يُطلب من:
دار مجلة مـــــرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org